مجلة جامعة الملك سعود، م ٤، العلوم التربوية والدراسات الإسلامية (١)، ص ص٥٩-٦٩، (١٤١٢هـ / ١٩٩٢م).

التفاعل العضوي بين المعرفة ومهارات التربية الفنية في العملية التعليمية

عبدالفتاح أحمد عبداللطيف

أستاذ مساعد، قسم التربية الفنية، كلية التربية جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية

ملخص البحث. تتوخى هذه الدراسة إلقاء الضوء على النقاط التالية: مفهوم المعرفة ذات الصلة الوثيقة بمهارات التربية الفنية في العملية التعليمية. وذلك أن العملية التعليمية لا تتكامل بمقتضى الجانب المعرفي فقط، ولكن بتكامل الجانب العملي الذي يشمل الخبرة المختلفة التي تتناولها التربية الفنية. وقد اشتملت هذه الدراسة على النقاط التالية:

١ ـ خلق شعور بأهمية الفن وبما يتضمنه من مهارات وأثر ذلك في تقدم الأمم وازدهارها.

٢ ـ مسؤولية المدرسة والمدرس في الإسهام في تنمية خبرتي المعرفة والعمل الذي يشمل جوانب المهارات والاتجاهات في التربية الفنية.

٣ ـ أثر الإهتمام بجناحي الخبرة (المعرفة والعمل) في مستقبل المتعلم.

٤ ـ جانب من التوصيات بالاهتمام بالتفاعل العضوي بين المعرفة والخبرة والمهارات والاتجاهات للعملية التعليمية وخاصة في التعليم الأساسي.

تهدف هذه الدراسة إلى التأكيد على الجوانب التالية:

- مفهوم المعرفة المرتبط بمهارات التربية الفنية في العملية التعليمية.
- إلغاء الثنائية الزائفة بين العلوم النظرية والتطبيقية، وهي دعوة لإعمال العقل وليس إلى إلغائه.
- توظيف المعرفة من خلال المهارات التي تؤدى في مجالات التربية الفنية، وذلك من خلال التدريب والإبداع والتركيب والتحليل.
- دور المدرسة والمدرس في تنمية هذه الاتجاهات حتى تتبلور النتائج في نموذج أفضل للحياة التي تحقق إشراقًا للمجتمع.

المقدمـــــة

يتجه المهتمون والمتخصصون في مجال التعليم إلى التأكيد بأن يمهِّد الجيل الجديد الطريق لنفسه في هذا العالم المعاصر لإحداث مسار جديد بدلاً من طرق التربية القديمة التي لا تجدي نفعًا، لأن العالم الذي وضعت فيه هذه الطرق أخذ يختفي من الوجود. كما أن المهارات التي كانت أساسية مهمة بالأمس لم تصبح كذلك الآن، ولم تعد المعرفة التي كانت تحصل في الماضي تربية تُمكن أبناءنا من تنمية الجوانب المعرفية المرتبطة بالمهارات التي سوف تنفعهم في عالم حافل بالمشكلات، وإنما يجب أن يحدث التفاعل بين المعرفة ومهارات التربية الفنية لمواجهة بعض هذه المشكلات وابتكار أساليب جديدة للسلوك في عالم لن يستطيع البقاء فيه إلا من كان في مقدوره أن يتكيف معه.

تعريف بالمصطلحـــات

تعليم المهارات skills education

لا نقصد بتعليم المهارات بالمفهوم التربوي أن يكون تعليمًا مهنيًا وإنما هو تعليم يكشف عن استعداد كل تلميذ للمهنة التي يصلح لها في المستقبل.

التعليم الأساسي basic education

هو تعليم يعد المتعلمين منذ المراحل الأولى ومن خلال عدد من السنوات قد تطول أو تقصر طبقًا لإمكانيات الدولة للمواطنة الواعية المنتجة ويسلحهم بالقدر الضروري من المعارف والمهارات والأخلاقيات بحيث يكون قادرًا على الاستزادة من الثقافة والمعارف والمهارات بنفسه.

أهمية الفن بما يتضمنه من مهارات وأثر ذلك في تقدم الأمم

حينما يمتد بصر الإنسان عبر تاريخ الأمم التي نالت قدرًا وافرًا من الحضارة أو التقدم والازدهار في الحاضر أو الماضي نجد أن الفنون لعبت دورًا بارزًا في ارتقائها وتهذيب نفوس أبنائها ونبغت في علومها وعلاقاتها ونمت مواردها، لأن الإنسان يحيا بعقله الذي يفكر به، وبوجدانه الذي يبدع به، وبيده التي ينتج بها. وبدون تكامل المعرفة والفن والمهارة لا يمكن

أن يتحقق للإنسان النمو الكامل، ولا يمكن أن يحقق المجتمع التنمية الشاملة بمفهومها الواسع المتضمن للجوانب الاقتصادية والثقافية والفكرية والاجتماعية والإبداعية.

وعلى ذلك فإثارة الشعور بأهمية الفن وبما يتضمنه من مهارات، وأثر ذلك في تقدم الأمم وازدهارها، لا يأتي بمجرد الأماني أو العبارات، وإنما باتخاذ الوسائل التي تحقق ذلك. فلا بد أن يكون لها تخطيط كاف في المنهج الدراسي، ولابد من الإكثار من عنصر المهارات اليدوية والجوانب العلمية والوعي المهني والتذوق الفني وتنمية الإحساس الجمالي لدى التلاميذ. ونرى في ذلك تنمية للقدرات الإبداعية لأن الذين يبدعون هم الذين يضيفون بعدًا جماليًا للحياة والأحياء، وهم الذين يغيرون الوجه الحضاري للمجتمع.

فلا بد من التخلص من طرق التدريس الجامدة الرتيبة التي تقهر العقل وتجبره على الحفظ والاستظهار وتصب النشء في قوالب جامدة.

ومن هنا كانت الدعوة إلى توظيف المعرفة من خلال البحث والتدريب، وتدعو إلى التحليل والتركيب والإبداع بحثًا عن نماذج أفضل للحياة وسعيًا لصورة أكثر تهذبًا للمجتمع.

إن التربية العصرية تربية تهتم باكتشاف الفرد وتنمية مواهبه، وتسعى إلى رعاية الفائقين والاهتمام بالعلماء والمخترعين، وتحرص على تعميق مفاهيم الأصالة والمعاصرة معًا، وهي بذلك تساعد الفرد على التواؤم مع الكل المتكامل للجماعة التي ينتمي إليها، كما أنها تنمي قدراته الخلاقة المبدعة وإحساسه بالجمال وتغذي وجدانه.

ومن العوامل التي ساعدت على ظهور الفلسفة الجديدة هو التطور الذي حدث في كثير من العلوم الإنسانية، ولا سيما في علم النفس الذي اتجه اتجاهًا بيولوجيًا ركز فيه على أن التفكير مرتبط بوجود دوافع، وأن هناك تفاعلاً بين المعرفة والعمل. ذلك أن الطفل يكتسب المعرفة من خلال رجوعه للمثيرات وإدراكه للنتائج المترتبة على ذلك. ومن ثم ظهور

مبدأ التعليم عن طريق العمل شعارًا للفلسفة الحديثة في التربية التي تجعل أساسها النمو، وبالتالي الاهتمام بنمو الطفل [١، ص١١٦].

ولذلك فالتعليم بصورته الحالية غير قادر على مواجهة حاجات التعليم بما يتوافق مع المجتمع المعاصر الذي تكاثفت فيه المعرفة بشكل هائل، وأصبح للتكنولوجيا دور رئيس في الحياة اليومية للإنسان والمجتمع.

وإذا كان هذا الاتجاه هو المنشود الآن في البلاد المتقدمة، فإنه يصبح أكثر أهمية وضرورة بالنسبة للبلاد النامية. ذلك لأن التعليم فيها في الأغلب الأعم لفظي نظري من حيث المناهج والكتب والوسائل والتجهيزات، كما أن العائد منه ليس على المستوى المطلوب حتى في هذه الصورة التقليدية.

ولعل من أبرز المشكلات التي تعاني منها الأقطار النامية بصفة عامة ــ والأقطار العربية بصفة خاصة ــ عدم كفاءة التعليم الحالي في تكوين الأساس القادر على أن يتكيف مع حاجات المجتمع المعاصر، وتكوين الاتجاهات العلمية بين الطلاب ليتيح لهم فرصة حل مشكلاتهم اليومية وتقبل التطور الهائل والمتلاحق في كل جوانب الحياة.

هذا بالإضافة إلى عدم الاهتمام بالكشف عن أصحاب المهارات والقدرات الخاصة العلمية والتي ينبغي أن تكون الركيزة الحقيقية لتحمل مسؤولية المشاركة في النهضة الصناعية والتقنية، وهو ما نحن في أشد الحاجة إليه [٢ ص٢٧].

ولأن التعليم المهني لا يصح أن يبدأ قبل مرحلة البلوغ حيث يصعب أن تكتشف قدرات التلاميذ الصغار وميولهم قبل هذه المرحلة، وهي التي تمتد إلى سن ١٥ سنة. ويتعين أن يكون الهدف منها هو تنمية القدرات بصفة عامة وتكوين مهارات يدوية متعددة الجوانب عن طريق ممارسة العمل التلقائي بخامات متعددة، ومحاولة التعرف على أعمالهم، ومن ثم تتحقق تنمية وتأكيد الخبرة العملية من خلال هذه الممارسات التي تتم بناء على وجود مناخ تربوي متكامل.

مسـؤولية المدرسة والمدرس للإسهام في تنمية خبرتي المعرفة والعمل

وبناء على ما سبق فيجب على مدرس التربية الفنية أن يعمل على تزويد التلاميذ بخبرات ومهارات ذات قيمة من حيث تأثيرها الوقتي الذي يتصل بمدى تقبلها، ومن حيث تأثيرها في الخبرات التالية.

فالمهمة الناجحة للمربي تتمثل في تقديم خبرات لا تنفر التلميذ، بل وأن تكون ذات نمط مثمر وابتكاري في الخبرات القادمة كي تصبح خبرة جيدة.

ولعل من أكثر المواد الدراسية توافقًا مع إمكانية التنظيم التقدمي هي مواد التربية الفنية، ولاسيما العملية منها. ذلك أنها وفقًا لطبيعتها المحسوسة تهيء الغرض لتسلسل خطوات وعمليات تنظيمية علمية.

فالإحسـاس بالمشكل الفني والوصول إلى حل سليم له يتطلب السير في خطوات الملاحظة والتأمل والتجريب والمعاناة والتنفيذ والتقويم.

ومن هنا فإن الخبرة المكتسبة من خلال التنظيم التقدمي في تدريس الفنون تكون خبرة ذات نظام علمي ولا غرابة في ذلك، فمما لا شك فيه أن الخبرة الراهنة التي يعكسها التقدم التكنولوجي إنما كانت نتيجة للتطوير العلمي لعمليات إنتاج السلع والفنون العملية [٣، ص٤٥].

ويجب أن تمتد مسؤولية التربية الفنية لتشمل غرس وتنمية الوعي بالمهارات الأدائية، وتكـوين اتجاهات ذواقة للقيم التشكيلية في الإنتاج للفنون التطبيقية، وتفهم خصائص التصميم الجيد من حيث جمال الشكل، وجمال الأداء الوظيفي في الفنون العملية، يساعد على تحسين الخبرة الجمالية وتعميقها. وكذلك فإن تجريب الخامات بقصد تفهم خصائص واكتشاف إمكانيات جديدة لاستخدامها يثري الخبرة الجمالية ويزيد من وضوح معناها.

وعلى ذلك فالمدرسة لها دورها الكبير في تهيئة الإمكانيات والمواقف التي تساعد الطفل على النمو السليم، وذلك لا يتحقق عن طريق تلقينه المعلومات بل عن طريق تنمية استعداداته وميوله وترقيتها إلى أفضل حد ممكن مع توجيهها توجيهًا صحيحًا.

وعلى ذلك ينبغي التعامل مع الفنون التشكيلية، وهي فنون بصرية على أنها ذات قيمة متضمنة معارف ومعلومات وتقنيات يجب أن تعلم بحيث ينال المتعلم قدرًا وافيًا من الخبرات والممارسات الفنية مهما كانت درجة ومستوى استجابته وقدرته الفردية واستعداده بشكل عام [٤، ص٥١].

وبناء على ذلك أصبح للمتعلم وللطفل بصفة خاصة حاجاته العقلية، النفسية والجسمية محور العمليات التربوية والنشاط العلمي.

من هنا علينا أن نبدأ بالفن والمهارات مع أطفالنا بدءًا من مراحل تعليمهم الأولي، ولا نُضنّ عليهم بالجهد ولا بالوقت ولا بالإمكانيات. فإن البداية مع التلميذ في مراحل حياته الأولى تجعل الفن يكبر وينمو معه. فالفن كائن حي وحياة الفن مزاولته وتأدية المهارات العديدة فيه [٥، ص٣٨].

فكل شيء لابد أن يبدأ البداية الطبيعية ــ يبدأ صغيراً ليكبر وينمو ويزدهر، فالتلميذ الذي ننشده هو الذي يجمع بين المعرفة العقلية والمعرفة الوجدانية والعاطفية. ويصل التلميذ بهذه المعرفة عن طريق الحواس المختلفة التي هي بمثابة وسائل وأدوات تساعده على بناء وتوطيد الصلة بينه وبين الوسط الذي يعيش فيه.

فعلى قدر صلاحية الحواس وكيفية استخدامها تكون معرفة الفرد وصلته بالبيئة، فإذا كانت هذه الصلة هزيلة ضعيفة كانت المعرفة كذلك. أما إذا كانت الصلة قوية مدعمة فإن المعرفة تكون قوية مدعمة.

وإذا كانت التربية تنشد هذا التكيف السليم للفرد فإن نصيب التربية الفنية في هذا نصيب بيّن واضح ، فهي تهدف إلى تنمية وتدريب الحواس المختلفة إلى جانب كونها وسائل تحقيق لأغراض محدودة [٦ص، ١٢٠].

فمما ينمي إعجاب التلميذ بعمله الفني أن يشتغل بأداة تعمل كما يريد لها أن تعمل، فتكون طيعة بين يديه، وتنشأ هذه الصلة العاطفية بينه وبين أدواته وخاماته. وكما عبر عن ذلك الفنان بيكاسو بقوله: «واجب الفنان الأول هو التصالح مع خامته.» ويجب أن يصل التلميذ إلى هذا الحد من المهارة. فقد يعتمد بعض التلاميذ على الشعور والإحساس بفاعلية الأداة والبعض الآخر على أشكالها الجذابة لتوجيه التجريب.

أثر الاهتمام بجناحي المعرفة والعمل في مستقبل المتعلم

ولقد وصف (هربرت ريد) Herbert Read نشاطات الفن في مراحل التعليم العام بأنها نشاطات (اللعب) في مرحلة الحضانة، بينما هي المشروعات في المرحلة الابتدائية، والتعليم الأولي عندنا ــ وتنساب في المرحلة الثانوية متحولة إلى أنماط إنسانية بناءة، مما يؤكد على ضرورة تواصل تعليم الفن في مراحل التعليم العام [٧، ص١٥٢].

فالفن في التعليم العالي لا يوجد له أي أثر، وليس له نظير في أي نظام تعليمي. فالتعليم الجامعي الحالي في أغلب الدول النامية ــ كما يرى الكثيرون ــ يفتقد إلى التربية لأنه تعلم مهني وتخصص حياتي. وقد زاد من المشكلة كثرة القبول الجامعي، مما ساعد على تحويل الجامعة من بوتقة للثقافة إلى معمل تفريغ وظيفي. ومع التكاثر المعرفي للتخصصات الجامعية المتنوعة تنمى ثقافة الفرد، ويُصبح تكوين الشخصية المتكاملة منتقصًا، ذلك أن للفن أهمية في ثقافة الفرد العامة لما له من ارتباط وثيق بشتى ألوان الخبرة الإنسانية ــ كما يحتوي الفن إلى جانب التكوين المعرفي التخصصي المرتبط بالفنانين ومعلمي الفن على التكوين المعرفي العام الذي يدخل في إعداد كل المتعلمين في كل التخصصات. فدارس الطب والهندسة أو التاريخ أو الأدب أو السياسة لابد أن يتناول الأبعاد الإنسانية والجمالية لموضوعات هذه التخصصات حتى تكون هذه الخبرات في الإطار الثقافي الصحيح.

والفن الذي يدرسه التلميذ يُصاغ في أسلوب منفر، لأنه لا يجد من المجتمع المحيط في المدرسة وخارجها إلا أُناسًا يقدمون هذه المادة إلى التلاميذ في أنفة وكبرياء، فيحقرونها بطريقة غير مباشرة لأنها في نظرهم يدوية صناعية، وهم يعيشون في مجتمع لا يقدر أي شيء مهني أو صناعي. فهو مجتمع اعتاد أن يقلل من شأن الصانع أو العامل.

يشير (زت) H. Zett إلى أن الفهم المتعمق للمبادىء الجمالية واستخداماتها العريضة أصبح ضرورة ملحة، وشرطًا مهمًّا للتعامل بلغة الشكل في وسط الضوضاء والتلوث على حواسنا وانتشار عدم الحساسية. ومن ثم فقد تُعد الجماليات من أهم وأكثر عوامل الاستقرار الفردية والاجتماعية، وعليه فإن كل فرد كما يقول زت بحاجة إلى درجة من الثقافة العاطفية والوعي بجماليات الوسائط التعبيرية [. ، ص٧٩].

ونخلص من ذلك إلى ضرورة الاهتمام بالجوانب التالية: تزويد المواطن بالحد الأدنى الضروري من المعلومات والخبرات والمهارات والاتجاهات التي تُناسب المرحلة الجديدة من تطور المجتمع في المجالات الثقافية والاجتماعية والعملية والتكنولوجية، والتي تقتصر على التعليم الابتدائي والمتوسط بصورتها الحالية عن الوفاء بمتطلباتها. ويزيد من تأكيد هذه الحقيقة أن الجيل الذي نتطلع إلى إعداده على هذا النحو هو الجيل الذي تواجه به البلاد مطلع القرن الحادي والعشرين في عالم متغير تتلاحق فيه التغيرات باطراد، مما يحتم مزيدًا من العناية في تكوين هذا الجيل.

يجب أن يزود التلميذ بأساسيات العلم والثقافة من ناحية، وبعض المهارات العلمية والتطبيقية والتقنية والتي يمكن أن تصبح في مستقبل حياته نقطة انطلاق لمشاركة نشيطة منتجة من ناحية أخرى. وبذلك يتكامل تكوينه في الأبعاد الفكرية والنظرية والعملية والتطبيقية وجميعها اعتبارات يجب أن تحظى بنصيبها من الاهتمام.

ويقتضي ذلك أن ينظر إلى المرحلتين الابتدائية والمتوسطة على أنهما يكونان سويًّا مرحلة تعليمية واحدة تقوم بتزويد المنتهين منها بألوان المعارف والمهارات الأساسية التي تهيئهم للانخراط في الحياة العملية أو متابعة دراسات أعلى في المراحل التعليمية التالية.

فالنظريات الحديثة للتعليم تهدف إلى أن يتعلم الشخص أولاً كيف يعلم نفسه، وثـانيًا كيف يقوم بنفسه، ليتمكن من تصحيح مساره التعليمي، وثالثًا كيف يشغل وقته بطريقة صحيحة سليمة.

ويجب أن نحرص خلال مرحلتي التعليم الابتدائي والمتوسط على أن ننمي شخصية التلاميذ، وأن ننمي لديهم القدرة على استعمال عقولهم وأيديهم في حل مشكلاتهم اليومية، والقدرة على عمل أشياء نافعة من تصميماتهم وأن يكتسبوا خلال المواقف التعليمية في مرحلة التعليم الأساسي بعض أصول العمل الحرفي البسيط إذا دعت حاجة العمل إلى هذه المعرفة.

وأيضًا، الاهتمام بالكشف عن القدرات الطبيعية لدى التلاميذ بأن تنيح لهم فرص النمو إلى أقصى حد ممكن مع إبراز التعاون وأهمية العمل الجمعي وخدمة البيئة المدرسية، وتنمية المهارات اليدوية، من خلال مواقف تعليمية طبيعية حتى يمكن للمنتهين من هذا التعليم والذي لا يستمرون في التعليم الأعلى من الاندماج في الحياة اليومية بنجاح.

فكثير من الصفات والمهارات الأساسية واليدوية والقدرات يمكن أن تنمو إلى درجة كبيرة من خلال دروس الرسم والأشغال اليدوية arts & crafts والتي تسمى التربية الفنية art education.

وقـد صدرت كتب كثيرة عالية المستوى في موضوع التربية عن طريق الفن بهدف تحقيق مقتضيات العصر التربوية، وفي الوقت نفسه الاحتفاظ بالتلقائية والصفات الغريزية التي يقضي عليها التعليم الذي يعتمد على الآلية والنمطية.

المراجـــع

[١] ديوي، جون. *الفن خبرة*. ترجمة زكريا إبراهيم، مراجعة زكي نجيب محمود. القاهرة: دار النهضة، ١٩٦٣م.

[٢] خميس، حمدي. *الفن ووظيفته في التعليم*. القاهرة، ١٩٥٨م.

[٣] محمود، زكي نجيب. «الصورة في الفلسفة والفن.» القاهرة، ع٣٧، مارس، ١٩٥٩م.

[٤] Stubbs, C. B. "The Visual Art as Basic Subject School Art", 79, No. 5 (1980) 18-91.

[٥] زكي، لطفي محمد. *نظريات في السلوك الفني وتطبيقاتها التربوية*. ١٩٦٣م.

[٦] البسيوني، محمود. *الفن والتربية*. القاهرة: دار المعارف، ١٩٥٥م.

[٧] ريد، هربرت. *التربية عن طريق الفن*. ترجمة عبدالعزيز توفيق جاد. القاهرة: الهيئة العامة للكتب والأجهزة العلمية، مطبعة جامعة القاهرة، ١٩٧٠م.

[٨] صدقي، سرية عبدالرازق. «مؤتمر التعليم الأساسي بين النظرية والتطبيق.» القاهرة: كلية التربية، جامعة حلوان، ١٩٨١م.

Organic Reaction between Knowledge and Art Education Skills in the Educational Process

Abdel Fattah Ahmed Abdullateef
Assistant Professor, Dept. of Art Education, College of Education, King Saud University, Riyadh, Saudi Arabia

Abstract. This study investigates the concept of knowledge that is closely attached to the skills of art education in the total process of education. The educative process remains incomplete if it neglects the practical side provided by art education and concentrates on the cognitive side alone. The study has covered the following points:

1. Creating the feeling for the need of art and its skills that help develop nations.
2. Teacher's responsibility in developing the cognitive experience and work that covers the skills and attitudes in art education.
3. The impact of both cognition and work on the future of the learner.
4. Some recommendations relating to the organic interaction between knowledge, experience, skills and attitudes to the educative process particularly in basic education.